

ابن الأجدابي (٥٤٧٠) و جهوده في اللغة من خلال كتابه (كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ)

م.م. أمينة علي حمزة عباس الصوفي

جامعة الموصل/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية

amina_ali@uomosul.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٥/١٠

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٦/٩

الملخص

يتناول هذا البحث واحداً من علماء العربية الذين برعوا في مختلف علومها و ما يتصل بها من علوم الفقه و القرآن الكريم ، وهو ابن الأجدابي الذي كان لغوياً و نحوياً و صرفياً و عروضياً و فقيهاً . . و قد تجلّى هذا العلم في الآثار التي تركها ، و قد حاول البحث الوقوف على جهوده اللغوية من خلال كتابه (كفاية المتحفظ) و هو كتاب وضعه ابن الأجدابي في الأسماء و الصفات و معانيها ، فكان أشبه بمعجم صغير مختص بالمعاني و الموضوعات . و قد وقع البحث في مبحثين ؛ عرّف الأول بحياة ابن الأجدابي و أهم آثاره و مكانته ، و بكتابه (كفاية المتحفظ و منهجه) ، و اختص المبحث الثاني بدراسة تطبيقية تظهر الجهود العظيمة و الثرة التي بذلها هذا العالم الجليل في خدمة اللغة العربية في كتابه الذي بين أيدينا . و قد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي . و خلص إلى نتائج مهمة كان من أبرزها تأكيد المكانة الجليلة لهذا العالم و دوره في إغناء العربية و التسهيل على دارسيها و المتعلمين لها في بيان كثير من الأسماء و الصفات لموضوعات غنية تتصل بالحياة العربية في مختلف مجالاتها .

الكلمات المفتاحية : ابن الأجدابي ، كفاية المتحفظ ، الجهود اللغوية ، الأسماء ، الصفات .

Ibn al-Ajdabi and His Contributions to the Arabic Language Through His Book "Kifayat al-Mutahaffiz"

Assist.Lec . Amna Ali Hamza Abbas Al-Sufi

University of Mosul / College of Basic Education

amina_ali@uomosul.edu.iq

Date received: 10/5/2026

Acceptance date: 9/6/2026

Abstract

This research examines one of the scholars of Arabic who excelled in its various branches, including related fields such as jurisprudence and the Holy Quran. This scholar was Ibn al-Ajdabi, a linguist, grammarian, morphologist, prosodist, and jurist. His vast knowledge is evident in his works, and this research attempts to explore his linguistic contributions through his book "Kifayat al-Mutahaffiz," a work on nouns, adjectives, and their meanings. It was akin to a small dictionary specializing in meanings and topics. The research was divided into two sections. The first section introduced the life of Ibn al-Ajdabi, his most important works, his stature, and his book, "Kifayat al-Mutahaffiz" (The Sufficiency of the Cautious), and its methodology. The second section focused on an applied study demonstrating the great and rich efforts this eminent scholar exerted in serving the Arabic language in the book before us. The research adopted a descriptive-analytical approach. It concluded with important results, most notably confirming the esteemed position of this scholar and his role in enriching the Arabic language and facilitating its study and learning for students and learners by explaining many nouns and adjectives related to rich topics connected to various aspects of Arab life.

Keywords: Ibn al-Ajdabi, Kifayat al-Mutahaffiz, linguistic efforts, nouns, adjectives.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

يمثل كتاب (كفاية المتحفظ) أنموذجاً ثراً للأعمال المعجمية في القرن الخامس الهجري ، و هو كتاب وضعه مؤلفه ابن الأجدابي؛ لشرح من خلاله أبرز الصفات و الأسماء لجلّ الموضوعات المتصلة بالبيئة العربية المشرقية و ما سار من أسماء و صفات لمظاهرها في الشعر العربي القديم. و هذا ما ماز هذا الكتاب ، إذ إنّ ابن الأجدابي لم يكن مشرقياً ، بل إنّه من أعلام ليبيا الذين برعوا في العربية و الفقه ، و كان له مؤلفات كثيرة في هذه المجالات . و قد ظهرت جهوده اللغوية بشكل لافت في الكتاب الذي بين أيدينا ، إذ إنّه حاول استقصاء أبرز مظاهر الحياة المشرقية و صورها ، و لعلّ نظرة الغرب للمشرق تحمل جوانب خاصّة تختلف عن نظرة المشرقيّ لبيئته ، و هذا ما شكّل نقطة انطلاقاً لبحث الجهود اللغوية لهذا العالم في كتابه المختار .

و انطلاقاً من ذلك وقع اختيارنا على هذا البحث الموسوم بـ :

ابن الأجدابي و جهوده في اللغة من خلال كتابه (كفاية المتحفظ)

في محاولة للتعريف بهذه الشخصية الرائدة و التعريف بهذا الكتاب و مضامينه ، و بيان أهمّ الجهود المبذولة في أطوائه و التي جعلت منه كتاباً فريداً في مجاله .

وتتبع أهميّة البحث من جدّته و محاولته رصد الجهود اللغوية لعالم من علماء العربية لم ينل حقه من التعريف و الاستقصاء و هو ابن الأجدابي ، و ذلك من خلال كتابه بالغ الأثر (كفاية المتحفظ) الذي يمثل أيقونة فريدة في مجال الكتابة المعجمية بوصفه معجماً صغيراً في الموضوعات المتصلة بالحياة العربية المشرقية، و هذا ما يضيف على الدراسة جدّة و أصالة و قيمة علمية يسعى البحث لتحقيقها .

أسئلة البحث :

- ينطلق البحث من سؤال رئيس يتمثل في :
- . كيف تجلّت الجهود اللغوية لابن الأجدابي في كتابه (كفاية المتحفظ) ؟
- و يتفرّع من هذا التساؤل أسئلة فرعية ، منها :
- . من هو ابن الأجدابي و ما أبرز آثاره ؟
- . ما أهم موضوعات كتاب (كفاية المتحفظ) و ما تصنيفه و ما منهجه ؟
- . كيف تجلّت الجهود اللغوية في هذا الكتاب في الموضوعات المتعلقة بالأسماء ؟
- . كيف تجلّت الجهود اللغوية في الموضوعات المتعلقة بالصفات ؟

أهداف البحث :

- حفل التراث العربي و اللغوي بكتبٍ ثرة و غنيّة بعضها ما نال حقه من الدّرس و البحث ، و بعضها لمّا يزل مغموراً و إن درس فلم ينل حقه الكافي من الدّرس . و من بين هذه الكتب كتاب (كفاية المتحفظ) لابن الأجدابي ، و لذا يسعى البحث إلى ما يأتي :
- . التعريف بابن الأجدابي و مكانته العلميّة و أهم آثاره .
- . التعريف بكتاب كفاية المتحفظ و بيان موضوعاته و منهجه .
- . بيان الجهود اللغوية للمؤلف في دراسته للأسماء المتعلقة بموضوعات شتى تتّصل بالبيئة العربية المشرقيّة .
- . بيان جهود ابن الأجدابي في الموضوعات المتعلقة بالصفات .

منهج البحث :

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على رصد الظاهرة المدروسة و تتبع مظاهرها ، و هذا ما استدعى التعريف بأهم مفردات البحث من خلال التعريف بالمؤلف و الكتاب المختار ، ثم الانتقال إلى دراسة نماذج من الكتاب دراسة تحليلية تكشف الجهود اللغوية المبذولة و المتضمنة في كتاب (كفاية المتحفظ) .

خطة البحث :

المبحث الأول : حول مفردات البحث :

يمثل ابن الأجدابي علماً من علماء العربية الذين لم تشتهر أعمالهم و لم تدرس جهودهم اللغوية ، و من ثم لا بدّ من التعريف به و بأهم آثاره و الوقوف على الكتاب الذي بين أيدينا و دراسة أهم موضوعاته و إلى أي المجالات اللغوية ينتمي ، و بيان المنهج المتبع في عرض موضوعاته ، و ذلك من خلال المطلبين الآتين :

المطلب الأول : ابن الأجدابي : حياته و آثاره .

هو "أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي المشهور بابن الأجدابي

(٤٧٧هـ)".^١

فهو من مواليد مدينة طرابلس و منسوب إليها و لم يفارقها أبداً ، و هذا ما مثل علامة فارقة في حياته العلمية و الإبداعية ، إذ درج على علماء ذلك الزمن أن يقوموا برحلات إلى بلاد العلم و أهله لكي ينالوا العلوم و يتعمقوا في أسرارها . و هذا ما جعل الناس تتساءل عن مصادر علوم ابن الأجدابي الي لم يفارق طرابلس و مع ذلك فقد بلغ شأواً عالياً في العلم ، مع العلم أنّه لم يعرف في طرابلس كثير من العلماء أو الشيوخ الذين يمكن أن ينهل منهم هذا العالم ، و عندما "سئل مرة عن علمه و كيف اكتسبه ، و لم تكن له رحلة _ حيث كان للطلبة في الزمن القديم رحلة إلى أطراف العالم الإسلامي _ فأجاب : (اكتسبته من بابي هواره و زناة) . و هما بابان من أبواب طرابلس القديمة . . يريد أنّ ما حصل عليه من العلم إنّما كان بلقاء العلماء و الشعراء و الأدباء القادمين على المدينة من كلّ صوب ، و عرف عنه إكرام وفود الحجاج و الاعتناء بهم و القيام بضيافتهم".^٢

فقد كان ابن الأجدابي يلاقي العلماء و يضيفهم و ينهل من علومهم ، فكلمًا مرّ عالم في تلك البلاد ، لاقاه ابن الأجدابي و نهل من علمه و لا سيما علوم العربية و الفقه الذي كان له باع طويل في علومهما و معارفهما حتّى عُرف بهما .

و قد أشار العلماء و المؤرخون إلى فضائله و علومه و آثاره ، فذكروا أنّه كان أديباً فاضلاً ، له تصانيف حسنة ، منها كفاية المتحفظ ، و هو مختصر في اللغة مشهور مستعمل جيّد ، و كتابه الأنواء و غير ذلك".^٤

فقد لمع اسمه بما جاد به من مؤلفات و علوم و كان كتاب الكفاية من أبرزها و على مطلعها . فكان هذا الكتاب سبباً من أسباب ذبوع صيته ، حتّى قيل فيه :

"كانت له يد جيّدة في اللغة و تحقيقها و إفادتها ، و هو متأخّر ، و صنّف في اللغة مقدّمة لطيفة سماها كفاية المتحفظ يشتغل بها النّاس في المغرب و مصر".^٥

و في ذلك إشارة إلى مكانة ابن الأجدابي من جهة ، و مكانة كتبه الذي اخترناه في هذا البحث من جهة ثانية ، فلم يكن كتاباً عابراً ، بل إنّه كان دليلاً على عظمة مؤلّفه و تعمّقه في اللغة و إجادتها .

و لعلّ الدّين الإسلامي و علوم الفقه كان لها دور في ذبوع صيت ابن الأجدابي ، فقد تمكنت العربية "بفعل الإسلام أن تتوحّد و تمتدّ من المحيط الأطلسي غرباً ، إلى الخليج العربي و حدود إيران شرقاً ، و من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى خطّ الاستواء و السّودان جنوباً".^٦

و لعلّ ذلك ما جعل صيت ابن الأجدابي ينتشر و يشتهر على الرّغم من عدم مغادرته لمسقط رأسه طيلة حياته التي لم نعرف بداية لها أو نهاية دقيقة ، إذ لم تذكر المصادر تاريخاً دقيقاً لمولده أو وفاته ، غير أنّ هناك أحوام تقريبية ، فقد ورد أنّ وفاته كانت سنة (٤٧٠هـ)^٧ ، أي إنّه من أعلام القرن الخامس الهجري .

المطلب الثاني : كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة : منهجه و أبوابه :

يحتلّ كتاب كفاية المتحفظ بمكانة فريدة في إنتاج المؤلّف ، فكان له عظيم أثر في ذبوع صيته و شهرته ، و لعلّ ذلك عائد إلى قيمة الكتاب و ما مضمّنه مؤلّفه من علوم ثرّة و غنيّة في اللغة العربيّة ، و قد بيّن ابن الأجدابي في مفتحه مضمونه و منهجه ، إذ يقول :

"هذا كتاب مختصر في اللغة و ما يحتاج إليه من غريب الكلام أودعناه كثيراً من الأسماء و الصّفات و جنّبناه حوشي الألفاظ و اللغات .

و أعريناه من الشّواهد ليسهل حفظه ، و يقرب تناوله ، و جعلناه مغنياً لمن اقتصر في هذا الفن ، معيناً لمن أراد الاتّساع فيه".^٨

فهو كتابٌ موجّه إلى من يبحث في غريب الكلام العربي ، في محاولة لبيانه و تسهيل فهمه ، و لم تكن الغاية إبراز علمه و معرفته بالشّواهد الشّعريّة أو القرآنيّة أو الحديثيّة ، بل كانت غايته تعليميّة تهدف إلى تسهيل تعلّم غريب الكلام العربي ، و هذا ما شكّل نقطة قوّة للكاتب ، إذ إنّ مؤلّفه أعفاه من ثقل الشّواهد و حشو الكلام ، فكان مختصراً محمّلاً بكنوز المعارف اللغويّة لمن يريد المعرفة الحقيقيّة و تعلّم الغريب من دون تشويش أو إثقال في الكلام .

و إذا عدنا إلى هذا الكتاب فإنّنا نراه أشبه بمعجم صغير ضمّنه مؤلّفه غريب الكلام مبوّباً إيّاها بحسب معانيها و موضوعاتها ، و هذا يحيلنا إلى معاجم المعاني التي "تقيدنا في إيجاد لفظ لمعنى من المعاني يدور في أذهاننا و لا نعرف كيف نعبر عنه تعبيراً دقيقاً ، و لا نعرف الكلمة المناسبة لهذا المعنى".^٩

أي إنّ هذا الكتاب نموذج لمعاجم المعاني المبوبة بحسب موضوعاتها ، و ليس هذا النّمط من العمل المعجمي بجديد ، إذ "إنّ فريقاً من علماء العربيّة الأوائل وجدوا أنفسهم أمام بحر خضمّ من المفردات اللغويّة في شكل رسائل صغيرة ، فجمعوا هذه الرّسائل بحسب مدلولاتها في تنظيم و ترتيب أكثر دقّة ، في مرحلة جديدة متطوّرة ، ممّا كانت عليه تلك الرّسائل ، و سمّيت فيما بعد : معاجم الموضوعات".^{١٠}

و يمكن عدّ هذا الكتاب من هذا النمط من التآليف المعجمي ، و قد بلغ أهميّة كبيرة لدى الدّارسين و الباحثين ، إذ ظهرت عناية العلماء بهذا الكتاب من خلال نظمه مثل نظم ابن الخويي^{١١} ، و من خلال شرحه ، فمن شرحه ابن الطيّب المالكي في (تحرير الرّواية في شرح الكفاية) ، إذ يصف هذا الكتاب في أوّل شرحه بقوله : "و اعتنى بهذا المختصر جمع من الأئمة المقتدى بهم و اعتمدوه ، و أكثر من النّقل عنه الحافظ الثّقّة أحمد الفيومي في كتابه (المصباح المنير) ، و الإمام كمال الدّين الدّميري في (حياة الحيوان) ، و غيرهما ، و عدلوه بالمصنّفات الكبار ، كالصّاح و التّهذيب و المجمل و نحوها ، و ربّما اختار كلامه في المصباح عليهم أحياناً ، و اعتنى بخدمته الإمام الأديب البارع قاضي الحرم جمال الدّين الطّبري ، فنظمه في نحو ألف و ثلاثمئة بيت نظماً حلواً ، على ارتكاب أوهام و بعد أفهام ، و مدحه الفقيه الأديب العلامة جمال الدين العدوي و شهرته بين أهل الفن كافية ، و إن كانت فيه مواضع تفنّقر إلى ضبط ، و كذلك تشكل مطالعته على غير المهرة بالفن".^{١٢}

و قد سار ابن الأجدابي على منهج يؤدّي غاياته ، و جاء كتابه غاية في الاختصار غير المخلّ ، و اقتصر على المهم ، و قصد إلى أن يكون عمله مختصراً ، ليتمكّن الكثير من حفظه عن ظهر قلب ، و قد تحقّق له ما أراد ، و ذاع صيت الكتاب و وصل إلى أصقاع النّاطقين بالعربيّة و ذلك راجع إلى المستوى اللغوي ، الذي عومل به اللفظ المراد إيضاحه ، فامتلاك زمام اللغة أصل التّعامل ، و ابن الأجدابي امتلك زمام لغته ، و أدرك الحاجة إلى مثل ما به كانت عنايته ، و بهذا كان التّوافق و الاتّفاق بين الغاية و الحاجة".^{١٣}

و لعلّ مكانته تتبع من اختصاره غير المخلّ ، بالإضافة إلى جودة موضوعاته المختارة و شدّة اتّصالها بالحياة العربيّة التي تجلّت مظاهرها في الشّعر العربي القديم الذي ذاع صيته في كلّ الأمصار في المشارق و المغرب . ف "الكتاب في مجموعه يهتم بالبادية و مظاهر الطّبيعة فيها من رمال ، و جبال ، و أودية ، و مياه و نبات ، و حيوان كما اقتصر في ذكره للأنية و مستلزمات الحياة على ما يستعمله البدوي في حياته اليوميّة ، و ما يتناوله من غذاء".^{١٤}

و هذا ينقلنا للحديث عن منهج الكتاب الذي كان موائماً لموضوعاته ، فهو مبوّب بحسب تلك الموضوعات ، مثل الإبل و النّخيل و الخيل

و لعلّ أوّل سمة تظهر في منهجه هي استعماله الألفاظ على أساس الاستعمال لا على أساس الوضع اللغوي ؛ "و المعيار في تحوّل الدلالة هو الاستعمال ، و الحكم الفاصل بين دلالة الوضع الأوّل و دلالة الوضع الطارئ لا يفرزه إلّا الكلام ذاته ، بحيث يصير المصطلح شائعاً في غير ما وضع له ، فيصير أصل الوضع منسياً و المجاز معروف سابقاً إلى الفهم بعرف الاستعمال".^{١٥}

أي إنّهُ يبوّب الألفاظ على أساس المعنى دون اعتبار لترتيب هذه الألفاظ من حيث حروفها كما فعل الكثير من اللغويين^{١٦} ، من ذلك ذكره في الصفات المحمودة للنساء ما يأتي :

"الخودُ : المرأة الحسنّة الخلق .

و الغادة : النّاعمة .

و الممكورة : المطوية الخلق .

و البخذاة : النّامة القصب".^{١٧}

فقد بدأت الكلمة الأولى بحرف الخاء ، و الثّانية بالعين ، و الثّالثة بالميم ، و أمّا الرّابعة فبالباء ، أي إنها ينبغي أن تكون في البداية لو اعتمد المؤلّف التّرتيب بحسب تسلسل الأحرف . و لعلّ ذلك يشير إلى أنّ المؤلّف لم يرتّب مادته قبل إثباتها ، بل كان يدوّن في كتابه كلّ كلمة تعترضه يرى فيها عثرة في الفهم و تحتاج إلى بيان . و هذا ما يبرز خصوصيّة عمله شخصيّة في البحث .

كما يوزّع ابن الأجدابي موادّه اللغويّة على أبواب معنونة ، من ذلك : ((باب في صفات الرّجال المحمودة))^{١٨} ، و يقسم الباب إلى فصول ، ففي هذا الباب : (فصل في صفات البطولة)^{١٩} ، لينتقل إلى عنوان ((ومن صفات الرّجال المذمومة))^{٢٠} .

و مثل ذلك ((باب في صفات النّساء الممدوحة))^{٢١} ، و يأتي بعده (ومن مذموم صفاتهن)^{٢٢} ، يليه ((فصل في أسماء الرّوج))^{٢٣} و هي أسماء المرأة المتروّجة . و قد يأتي الباب من دون عناوين فرعية ، من ذلك ((باب في الحبّ و الموصوف به))^{٢٤} ، وقد لا يعنون الباب بكلمة (باب) مثل : (معرفة حلي النّساء)^{٢٥} . و قد

يكون الباب واسعاً و مع ذلك لا يوزع مواده على فصول كما في ((باب ما يُحتاج إليه من خلق الإنسان))^{٢٦} ، إذ إنه يشمل ما يزيد على خمسين مادة لغوية و مع ذلك فإن المؤلف لم يفصل بينها بعناوين فرعية أو فصول .

و يعتمد ابن الأجدابي في إعجام ألفاظه على ذكر مرادف الكلمة ، من ذلك ذكره لألوان الإبل:

"الأدمُ : الإبل الخالصة البياض ، و يقال جم آدمٌ و ناقة أدماء .

و العيس : التي يخلط بياضها شيء من شقرة ، يقال : جمل أعيس ، و ناقة عيساء .

و الصهبُ : التي تغلب عليها الشقرة " .^{٢٧}

فكل مفردة شرحها بالعبرة، و قد أشرنا إلى ذلك ، لأنه في مواضع أخرى قد يشرح الدلالة ، فيعتمد الأسلوب السردى ، من ذلك قوله في بيان مراحل عمر الإنسان : "ما دام الولد في بطن أمه فهو جنين .

فإذا ولد فهو منفوس ، و أمه نفساء .

فإذا خرج رأسه قبل رجليه فهو وجيه .

فإذا خرجت رجلاه قبل رأسه فهو يتن و ذلك مذموم .

و يسمّى طفلاً ، و رضيعاً

فإذا ارتفع شيئاً و أكل (شيئاً) فهو جفّر و الأنتى جفرة" .^{٢٨}

و لعلّ تغييره في أسلوب عرضه يشي باهتمامه بالقارئ و المحافظة على اهتمامه و يقظته في أثناء القراءة ، فنوع الأسلوب ليقّل من احتمالية الملل أو الكلال .

و قد تأثر ابن الأجدابي بالبيئة المشرقية كما ألفنا ، فهو يختار مفرداته منها ، و يستمدّها كذلك من

الشعر العربي ، من ذلك ذكره لصفات الإبل :

"الحزفُ : و هي الناقة الضامرة .

و العنُس : و هي الشديدة الصلبة .

و العنتريس : الشديدة .

و العذافرة : الصلبة".^{٢٩}

فهي ألفاظ لم تعرف في استعمال دارج في كلام العرب بقدر ما عرفت في كلام الشعراء ، و لعلّ اهتمام ابن الأجدابي بها يشي بغايته التعليمية ، و كأنه يحدد بذلك الفئة المستهدفة بكتابه و هم قراء الشعر العربي .

و قد يستشهد بغيره في تعريف المواد اللغوية ، من ذلك قوله في حديثه عن أسماء عدو الخيل :

"والوحشيُّ : من حافره ما أدبر منه عن يديه .

و الإنسيُّ : ما أقبل منه عليه .

فأمّا الجانب الوحشي فالأيمن في قول أبي زيد الأنصاري و الإنسي الأيسر .

و قيل : الوحشي هو الأيسر ، و الإنسي هو الأيمن .

هذا قول أبي عبيدة و الأصمعي .

قال أبو عبيدة : و كذلك هو في الناس أيضاً".^{٣٠}

و لعلّ ذلك يشير إلى سعة اطلاعه و أمانته العلمية المنبثقة من شخصيّة واثقة بمعرفتها و مقدرة لجهود الأسبقين .

المبحث الثاني : الجهود اللغوية لابن الأجدابي في كتابه (المتحفظ):

يعدّ كتاب المتحفظ من المؤلفات المعجمية الفريدة ، إذ إنّه على الرّغم من عدد صفحاته القليلة ، فإنّه يجمع كثير من الألفاظ العربية و يبيّن معناها و يرتبها بحسب موضوعاتها في أغلب الأحيان ، و قد مثّل هذا العمل خدمة للغة العربية من خلال جمعه لألفاظ عربية قديمة و بيان دلالاتها ، فكانت سليقته سليمة على الرّغم من أنّه من أبناء القرن الخامس ، و لعلّ قيمة عمله تبرز من حيث زمنه أولاً ، إذ إنّه شكّل وثيقة تبين قدرة

العلماء و سعيهم إلى المحافظة على اللغة العربية في أبهى صورها . و يمكن لنا دراسة الجهود اللغوية لابن الأجدابي في هذا الكتاب من خلال ما يأتي :

المطلب الأول : جهوده اللغوية في بيان الأسماء :

تظهر الجهود اللغوية في كتاب المتحفظ من خلال قدرة المؤلف على فصل مفرداته المتعلقة بموضوع ما بين أسماء و صفات ، و ذكر المحمود منها و تمييزه من المذموم في أحيان كثيرة ، و هذا يمثل جهداً مميزاً و مهماً في إرشاد المتعلمين إلى تمييز اسم الشيء من صفاته التي كثيراً ما تختلط بالأسماء ، فلم يكن كتاب المتحفظ مجرد ذكر لأسماء و صفات ، بل إن "هذا الكتاب إسهام من مؤلفه في ضبط اللغة العربية و تحديد دلالة الألفاظ فيها ، و صيانتها من التحريف باعتبارها لغة القرآن الكريم . . . و لأن المؤلف قد قصد بكتابه الأخذ بأيدي النشء فقد جعله مختصراً خالياً من الشواهد ، و ذكر الشواذ ، و قصره على ما ينبغي الإلمام به من الأسماء و الصفات دون التعرض إلى الأفعال و مسائل الاشتقاق باستثناء إشارات قليلة إلى بعض الجموع و النسب".^{٣١}

و لعل إشارته إلى مسائل مثل الجموع و النسب تشي بإحاطته بهذه المفردات ، و بأهمية معرفة هذه الأبواب المتعلقة بها ، من ذلك ذكر الجموع و مفرداتها كما في قوله :

"و العنانيجُ : جياذ الخيل ، الواحد عُنْجُوجٌ".^{٣٢}

فقد ذكر المعنى و أردفه بالمفرد ، و في ذلك إشارة إلى ما يمكن أن يواجه النشء في تحيد المفرد ، و لذا ذكره المؤلف .

و منه أيضاً : "والسربُ : القطيع من الظباء . و كذلك الإجلُ ، و جمعه آجال . و جماعة البقر إجْلٌ أيضاً".^{٣٣} فقد ذكر المفرد و أردفه بالجمع .

و قد يعلل سبب التسمية : "المكَّاء : طير يصوت في الرياض ، سمِّي مكَّاء لأنه يكو أي يصفر".^{٣٤} فلم يكتفِ بذكر المعنى ، بل أشار إلى علّة التسمية .

و يميز المؤلف الأسماء المحدثه من تلك المعروفة عند العرب القدماء ، من ذلك أسماء الخيل في السباق ، إذ يقول :

"أولها المجلي : و هو السابق و المبرر .

ثم المصلي : و هو الثاني .

ثم المسلي : و هو الثالث .

ثم التالي : و هو الرابع . . . و المحفوظ عن العرب السابق ، و المصلي ، و الكئيث الذي هو العاشر . فأمّا باقي الأسماء فأراها محدثة"^{٣٥}

فقد عدّها بتمامها و أشار إلى القديم منها و المستحدث ، و في ذلك إشارة إلى سعة علمه و معرفته بالعربية ، كما يشير إلى قدرته التعليمية ، و كأنه يعلم مواطن الضعف لدى المتعلمين ، فسهل عليهم العثرات التي يمكن أن تعترضهم .

يبين المؤلف بعض الأسماء التي تجيء نعوتاً ، من ذلك قوله : "من أسماء السيف و نعوته :

المنصل ، و الحسام .

و المشرفي ، و الصارم .

و المهند ، و الهندواني .

و الصمصام ، و الصفيحة و هو السيف العريض"^{٣٦}

و قد أثبت المؤلف ذلك في أبواب الأسماء ، و هنا يظهر جهده في تقصي الأسماء التي تتحوّل بالاستعمال إلى صفات .

كما يبين ابن الأجدابي الاستعمال الأشيع ، من ذلك : "والأسل : الرماح ، و قيل الأسل ما أديق من الحديد و حدد فيقع على الأسنّة و السيوف و نحوها . و أكثر ما يستعمل الأسل في الرماح خاصّة لدقة أطرافها

و رقّة حدائدها".^{٣٧} فقد ذكر المعنى اللغوي ، و ركز على المعنى الاستعمالي ، و كأنّه يجيب على تساؤل من التبس عليه المعنى بين الوضع و الاستعمال .

و يبيّن المؤلف الأسماء بحسب سياقاتها ، فالكلمة قد تكون في المعاجم لها معنى حرفي ، و لكنّها تتخذ معنى آخر في السياق الاستعمالي ، من ذلك : "والكثيبُ : ما اجتمع من الرّمل . و الحَبْلُ : ما استطال منه . و الأميلُ : نحوه".^{٣٨}

فالحبل في المعاجم اللغويّة يشي بالرّسن و جمعه حبال و أحبل^{٣٩} ، و لكنّ المؤلف ذكره في هذا السّياق للإشارة إلى معنى خاص مستمد من الاستعمال .

المطلب الثاني : جهوده اللغويّة في الصّفات .

إنّ "علماء اللغة هم جنّ الإنس ، و هم من يدرك خفايا الأمور ، و من يطلع على المخبأ من كنوز المعرفة ، و من يستطيع تصريف القول ، و فهم ما انغلق من النّصوص ، و لما للكلمة من دور بارز في تسمية الأشياء بمسمّياتها ، و في التّأثير الحاضر و الفاعل في جميع مناحي الحياة ، فإنّ الحديث عمّا يعثور مسيرتها يعدّ حجر الزّاوية ، و ما يجب أن يوليه أهل الدّراية اهتمامهم".^{٤٠}

و قد كان ابن الأجدابي واحداً من هؤلاء العلماء الذين استطاعوا تبسيط المعقد و توضيح الغامض من مفردات العربيّة ، و قد ظهر ذلك فيما بذله من جهود فيما يخصّ أبواب الصّفات في كتابه ، و من أبرز تلك الجهود سعيه إلى ذكر الفروق الدّقيقة بين صفة و أخرى ، و لا سيما في الصّفات اللونيّة ، من ذلك قوله في ألوان الخيل :

"الكميت : الفرس الشّديد الحمرة ، و لا يقال كميت حتّى يكون عُرْقُه و ذنْبُه أسودين ، فإنّ كانا أحمرين فهو الأشقر .

و الورد : فيما بين الكميت و الأشقر و الجمع وِراد".^{٤١}

يلحظ المتلقي هنا الفروق الدقيقة بين الصفات اللونية للخيل ، و هذا يشي بدقة علم ابن الأجدابي و حرصه على بيان المعنى الدقيق للكلمة . و لعلّ تسلسله في نكر هذه الصفات و معانيها و الفروق بينها بسلاسة و وضوح شكّل وسيلة تعليمية تسهّل على المتلقي إدراك معانيها و فهمها و استعمالها أيضاً .

كما أنّه يذكر المفرد من الجمع و يذكر جمع المفرد ، و يعلّل التسمية ، و هذا ما ظهر في باب نعوت القفار و الأرضين ، إذ يقول :

"القيافي : القفار واحداً فيفاء . و الموماة : كذلك ، و جمعها مَومٍ . و الصحراء : البرية ، سميّة صحراء للون ترابها ، و الصخرة قريبة من الصهبة".^{٤٢} فهو يذكر مفرد الجمع و جمع المفرد ، و يبيّن بعض المعاني معللاً سبب الوصف .

كما يبيّن الاستعمال المجازي لبعض الصفات ، من ذلك نعت القفار : "والمَرْتُ : الأرض التي لا منبت فيها . و كذلك : السُّبْرُوتُ و جمعها سَبَاريت ، و منه قبل للرجل الصُّلُوكُ سُبُرْتُ".^{٤٣}

فهو يشير إلى وصف القفار بالسُّبْرُوت ، مبيّناً أنّها بمعنى مَرْت ، ثمّ يبيّن نقل هذا الوصف إلى الرجال على سبيل المجاز ، إذ إنّّه أشبه بأرض لا نبت فيها، و هذا يشي بضعفه و انفصاله عن أهله و نسبه .

و من الملاحظ أنّ ابن الأجدابي لم يكتفِ بذكر الصفات الغريبة و الصعبة ، بل إنّّه يذكر جِلّ الصفات المستعملة سواء أكانت غريبة أم مشهورة ، و هذا ما يظهر في ذكره لصفات الرجال المحمودة ، إذ يقول :

"البطلُ : الرجلُ الشجاع ، و جمعه أبطال .

و مثله الكميّ ، و جمعه كُماة .

و الذمُّرُ ، و جمعه أذمار .

و الصمّةُ ، و جمعه صمّم .

و البُهْمَةُ ، و جمعه بُهَم .

و الشَّهْمُ : الحديْدُ القلب .

و الغَشْمَشْمُ : الذي لا يرده شيء عمّا يريد".^{٤٤}

يمكن ملاحظة الفرق بين صفة (بطل) التي تعد صفة مشهورة و معروفة ، و صفة (الغشمشم) التي تبدو غريبة قليلة الاستعمال . و لعلّ مثل هذه النماذج تظهر النزعة التعلّميّة للكتاب ، إذ إنّ المؤلّف يسعى لبسط العلم لمستويات مختلفة من المتعلّمين و هذا ما استوجب منه ذكر المعلومات مهما تفاوتت بساطتها و تعقيدها .

الخاتمة :

يتضح لنا من خلال هذا البحث أنّ ابن الأجدابي من علماء العربيّة في القرن الخامس الهجري الذين عنوا بأصول الكلام وبيان أحواله، وقد برزت جهوده اللغويّة في كتابه (كفاية المتحفّظ ونهاية المتلفّظ)، إذ اتبع فيه منهجاً يجمع بين البساطة واليسر، والسّعة والتعمّفي في دراسة الكلمات ، وكان عمله منظماً يتبع منهجاً يبوّب الألفاظ بحسب الموضوعات، و من ثمّ يمكن القول أنّ هذا الكتاب أشبه بمعجم موضوعي صغير يجمع فيه المؤلّف الألفاظ ويبوّبها بحسب وحدة انتمائها لموضوع محدد.

الاستنتاجات :

يمكن لنا تلخيص أهمّ نتائج البحث بما يأتي :

. يعدّ ابن الأجدابي من أبرز علماء المغرب العربي الذين اهتمّوا بالعربيّة و أعطوا مكانة لمفردات البيئّة المشرقيّة بوصفها مهد العربيّة و منبت أصلتها .

. بذل ابن الأجدابي جهوداً مثمرة في تمييز الأسماء من الصّفات في كتابه المتحفّظ الذي مثّل معجماً مختصراً في أهمّ موضوعات البيئّة العربيّة .

. استطاع ابن الأجدابي ضبط مضامين كتابه و عدم تشعيب موضوعاته اللغويّة ، فاكتفى بذكر الكلمة و معناها و ما قد يلتبس على المتعلّم من جموع أو مفردات لبعض الألفاظ .

. اهتمام ابن الأجدابي بالسِّيَاق الاستعمالي ، فكان يورد اللفظة و معناها مثل ما استعملها العرب لا كما وضعت في المعاجم اللغوية .

المصادر و المراجع :

١. كفاية المتحفظ في اللغة ، ابن الأجدابي ، حققه و ذكر شواهد و علق عليه : السائح علي حسين ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، د . ت ،
٢. نظم كفاية المتحفظ ، ابن الخوي ، تحقيق : عبد الحميد الدرويش ، دار النوادر ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ ،
٣. ، الدرس اللغوي و التطبيق في التراث العربي : ابن الأجدابي نموذجاً ، محمد محمد ، بن طاهر ، مجلة كلية الآداب ، ع ٢ ،
٤. مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ٢ ، ١٣٠ .
٥. لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق : علي عبدالله الكبير وآخرون ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، د.ت ، مج ٢ ، مادة حبل
٦. مفردات علماء البلاد الليبية اللغوية ، محمد سيدي الزروق الأنصاري ، مجلة البحوث الأكاديمية ، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة ، د ت ،
٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، راجعه واعتنى به : محمد نامر وآخرون ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
٨. معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ج ١ ،
٩. مختار الصحاح ، الزاوي ، إخراج : دائرة المعارف في مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٥١ .
١٠. فصول في فقه اللغة العربية ، رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ،
١١. في علم الأصول ، الغزالي ، المستصفي صحّحه : عبد السلام عبد الشّافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .
١٢. شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية) ، ابن الطّيب الفاسي ، دار العلوم ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ،
١٣. إنباه الرّواة عن أنباء النّحاة ، القفطي ، دار الفكر العربي ، د . ت ، ج ١ ،
١٤. التّفكير اللغوي الدّلالي عن علماء العربية المتقدّمين ، حمدان حسين محمّد ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ٢٠٠٢ م ،
١٥. الأساس في فقه اللغة العربية و أرومتها ، هادي نهر ، دار الفكر للطباعة و النّشر و التّوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٢ م .

Reference :

1. Ibn al-Ajdabi, Kifayat al-Mutahaffiz fi al-Lughah (The Sufficiency of the Cautious in Language), edited, annotated, and with supporting evidence by: Al-Sayeh Ali Hussein, World Islamic Call Society, Tripoli, n.d.
2. Ibn al-Khuwayi, Nazm Kifayat al-Mutahaffiz (The Poetic Arrangement of the Sufficiency of the Cautious), edited by: Abdul Hamid al-Darwish, Dar al-Nawadir, Lebanon, 1st edition, 1435 AH.
3. Ibn Tahir, Muhammad Muhammad, Linguistic and Applied Studies in Arab Heritage: Ibn al-Ajdabi as a Model, Journal of the Faculty of Arts, No. 2.
4. Ibn Faris, Maqayis al-Lughah (The Standards of Language), edited by: Abdul Salam Haroun, Dar al-Fikr, Beirut, 1979 CE, Vol. 2, p. 130.
5. Ibn Manzur, Lisan al-Arab (The Tongue of the Arabs), edited by: Ali Abdullah al-Kabir et al., Dar al-Maaref, Egypt, 2nd edition, n.d., Vol. 2, entry for "habl" (rope).
6. Al-Ansari, Muhammad Sidi Al-Zarrouq, *The Linguistic Vocabulary of Libyan Scholars*, *Journal of Academic Research*, Special Issue for the International Scientific Conference on the Efforts of Libyan Scholars in Serving the Sciences of Islamic Law*, n.d.
7. Al-Jawhari, *Al-Sihah: The Crown of Language and the Correct Arabic*, reviewed and edited by Muhammad Namir et al., Dar Al-Hadith, Cairo, 2009.
8. Al-Hamawi, Yaqt, *Dictionary of Countries*, Dar Sader, Beirut, n.d., vol. 1.
9. Al-Razi, *Mukhtar Al-Sihah*, published by the Encyclopedia of the Library of Lebanon, Beirut, 1986, p. 51.
10. Abd Al-Tawwab, Ramadan, *Chapters on the Jurisprudence of the Arabic Language*, Al-Khanji Library, Cairo, 1987.
11. Al-Ghazali, *Al-Mustasfa fi Ilm Al-Usul*, edited by Abd Al-Salam Abd Al-Shafi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2000.

12. Al-Fasi, Ibn al-Tayyib, Sharh Kifayat al-Mutahaffiz (Tahrir al-Riwayah fi Taqirir al-Kifaya), Dar al-Ulum, Riyadh, 1st ed., 1983 CE

13. Al-Qifti, Inbah al-Ruwat 'an Anba' al-Nuhat, Dar al-Fikr al-'Arabi, n.d., vol. 1.

14. Muhammad, Hamdan Husayn, Al-Tafkir al-Lughawi al-Dalali 'an 'Ulama' al-'Arabiyyah al-Mutaqaddimin, Manshurat Kulliyat al-Da'wah al-Islamiyyah, Tripoli, 2002 CE.

15. Nahr, Hadi, The Foundation of Arabic Linguistics and its Origins, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2002 AD.

الهوامش:

- ١ كفاية المتحفّظ ، ص ٣ .
- ٢ كفاية المتحفّظ ، ص ٣ .
- ٣ الأنصاري ، محمد سيدي الزروق ، مفردات علماء البلاد اللبنيّة اللغويّة ، مجلّة البحوث الأكاديميّة ، عدد خاص بالمؤتمر العلميّ الدّوليّ جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشّريعة ، د ت ، ص ٤٥٧ .
- ٤ الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
- ٥ القفطي ، إنباه الرّواة عن أنباء النّحاة ، دار الفكر العربيّ ، د . ت ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
- ٦ نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربيّة و أرومتها ، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٢ م ، ص ٦٠ .
- ٧ محمّد ، حمدان حسين ، التّفكير اللغويّ الدّلاليّ عن علماء العربيّة المتقدّمين ، منشورات كليّة الدّعوة الإسلاميّة ، طرابلس ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٧١ .
- ٨ كفاية المتحفّظ ، ص ٣٦ .
- ٩ محمّد ، حمدان حسين ، التّفكير اللغويّ الدّلاليّ ، ص ١٦٢ .
- ١٠ عبد النّوّاب ، رمضان ، فصول في فقه اللغة العربيّة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٥٨ .
- ١١ ينظر : ابن الخويي ، نظم كفاية المتحفّظ ، تحقيق : عبد الحميد الدّرويش ، دار النّوادر ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ ، ص ٢٧ .
- ١٢ الفاسي ، ابن الطّيب ، شرح كفاية المتحفّظ (تحرير الرّواية في تقرير الكفاية) ، دار العلوم ، الرّياض ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٩ .
- ١٣ ابن طاهر ، محمد محمد ، الدّرس اللغويّ و التّطبيقيّ في التّراث العربيّ : ابن الأجدابي نموذجاً ، مجلّة كليّة الآداب ، ع ٢ ، ص ٩٦ .

- ١٤ كفاية المتحف، ص ٢٠ _ ٢١ .
- ١٥ الغزالي ، المستصفى في علم الأصول ، صححه : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٤٦ .
- ١٦ كفاية المتحف ، ص ٢٢ .
- ١٧ المصدر نفسه ، ص ٤٧ .
- ١٨ كفاية المتحف ، ص ٣٧ .
- ١٩ كفاية المتحف ، ص ٤١ .
- ٢٠ كفاية المتحف ، ص ٤٣ .
- ٢١ كفاية المتحف ، ص ٤٠ .
- ٢٢ كفاية المتحف ، ص ٥١ .
- ٢٣ كفاية المتحف ، ص ٥٣ .
- ٢٤ كفاية المتحف ، ص ٥٤ .
- ٢٥ كفاية المتحف ، ص ٥٦ .
- ٢٦ كفاية المتحف ، ص ٥٨ .
- ٢٧ كفاية المتحف ، ص ٩٦ .
- ٢٨ كفاية المتحف ، ص ٧٠ .
- ٢٩ كفاية المتحف ، ص ٨٧ .
- ٣٠ كفاية المتحف ، ص ١٠٥ .
- ٣١ كفاية المتحف ، ص ٢٠ .
- ٣٢ كفاية المتحف ، ص ١٠١ .
- ٣٣ كفاية المتحف ، ص ١٣١ .
- ٣٤ كفاية المتحف ، ص ١٤٠ .
- ٣٥ كفاية المتحف ، ص ١١٣ .
- ٣٦ كفاية المتحف ، ص ١١٦ .
- ٣٧ كفاية المتحف ، ص ١٢١ .
- ٣٨ كفاية المتحف ، ص ١٥٨ .
- ٣٩ ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ٢ ، ١٣٠ . و ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : علي عبدالله الكبير وآخرون ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، د.ت ، مج ٢ ، مادة حبل . و الرزاي ، مختار الصحاح ، إخراج : دائرة المعارف في مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٥١ . و الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة ، راجعه واعتنى به : محمد نامر وآخرون ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٢١ .

- ٤٠ ابن طاهر ، محمد ، ظاهرة اللفظية في اللغة العربية ، المؤتمر الثاني للترجمة عبر الثقافات ، أكاديمية الدراسات العليا ، بنغازي ، ليبيا ، ٢٠٠٦ م ، ص ٥ .
- ٤١ كفاية المتحفّظ ، ص ١٠٨ .
- ٤٢ كفاية المتحفّظ ، ص ١٥١ .
- ٤٣ كفاية المتحفّظ ، ص ١٥٢ .
- ٤٤ ابن الأجدابي ، كفاية المتحفّظ في اللغة ، حقّقه و ذكر شواهدده و علّق عليه : السائح علي حسين ، جمعية الدّعوة الإسلاميّة العالمية ، طرابلس ، د . ت ، ٤٢ .

